فصلات من :

# مجلة البحوث التاريخية

السنة السادسة | العدد الثاني | يوليه ١٩٨٤

أبو جابر عبد الله بن أحمد بن ابراهيم الغدامسي

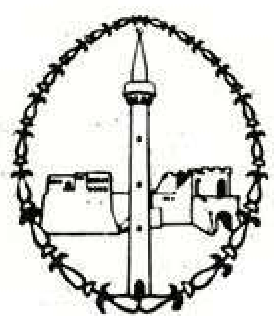
# العالم المهاجر

## جوانب من حياته وبعض نشاطاته الفكرية

بشير قاسم يوشع

مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي
فرع غدامس



منشورات جامعة الفاتح
مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين.

حضرة المربي الفاضل والمرشد الامثل العلامة الجليل الشيخ عبدالله بن احمد المغربي
نحييك بالاحترام ونحي فى اعمالك الصدق والجهاد ونحي فى جهودك الهمة والتضحية كما نحي فى اخلاقك النزاهة والفضيلة.

لقد كان يا حضرة المربي الفاضل من ابرك الاوقات واسعد الاثات على طلبة المعاهد الدينية فى ملايا عموما وفى جزيرة فينغ (PENANG) خصوصا ساعة وصولك الينا والداسنة 1919 من مكة المكرمه مطلوبا لاصلاح طرق التعليم وبرامج الدراسه التي كانت الى ذلك الحين جدا عقيمة اذا لم نقل عقيمه، ليحل محل الفاسد منها الصالح والصعب السهل وليكون بدل العقيم منها المنتج.

ونحن لاننسى ولايمكننا ان ننسى العقبات والعراقيل الجمه التي كانت تعطل المجهودات الاصلاحيه وتقوم فى وجه المشاريع المفيده، ولكن الامر كما قيل (الحق يعلو ولايعلى) فرأيناك استعملت الحكمه فى ادوارك كلها وحملت حملات صادقة كشفت بها عن كثير من الاعتقادات الزائفة والعادات القديمة، فعرفناك وعرفتك ملايا قاطبة من اكبر كبيرها الى اصغر صغيرها مربيا واعظا وواعظا ماهرا وكاتبا بليغا ومؤلفا عبقريا، وبالجملة مواقفك مشهودة وجهودك محمودة ومساعيك مشكورة.

من ذا الذي ينسى انقاذك مدرسة مشهور الاسلاميه من هوة السقوط والاضمحلال سنة 1921 حين تكبلت بالديون وكادت ابوابها تقفل وتلفظ النفس الاخير من حياتها، فحللت بما اوتيت من الصبر والمهارة مشكلتها وحفظت عليها حياتها، تلك المدرسة التي كانت كاللواء للنهضة الدينية والعلمية فى ملايا.

ولقد شهدناك قبل ذلك فى مقدمة ابطال المعركة السياسيه التي اثيرت سنة 1920 عن اقرار الحكومه الانكليزية باستثناء التعليم الديني من القانون الذي يجبر على كل احد فى ملايا ان يعلم عشرة انفار فصاعدا قبل ان يحصل على رخصة رسمية بعد ان يسجل اسمه ومحله والمواد التي يعلمها، فصار التعليم الديني بفضل ذلك الجهاد حرا من كل قيد.

وفى اول سنة 1922، اعلنت ثورتها على يديك الطائفة الزائفة المعروفة بجماعة او مذهب ((متهاري)) الذين يعتقدون التناسخ ووجوب تسليم الاموال والاهل والاولاد الخليفة الذي حل فيه روح سيدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم – فى زعمهم فاعلنوا توبتهم واحرقوا الكتب التى الفها زعيمهم وامام مذهبهم على مرأى من الجموع المحتشدة خصيصا لشهود تلك الواقعة امام مسجد جلوتغ (Jelutong)

وفى سنة 1923 سافرت اول بعثة من تلاميذك الى مصر والتحقت بالقسم الداخلي لمدارس الجمعية الاسلاميه.
وفى سنة 1924 غادرت ملايا بعثة اخرى مكونة من خمسة انفار الى مكة المكرمه، منهم مدير دار العلوم بمكة اليوم، ومنهم بملايا رئيس المعلمين بمدرسة الاخلاق بمقاطعة باكن سراي في سلطانة فيرق – وناظر مدرسة العلوم الشرعية بدائرة اير مولق بملاك. ثم تتابعت بعد ذلك الملتحقون بمدارس مصر والازهر ومدارس الهند، وغالب اولئك تجدهم في مقدمة رجالات هذا اليوم في ملايا.

ولقد شهدتك جزيرة فينغ فى تلك السنة (1923) حاكما ماهرا وقاضيا عادلا في القضية – الاعتقادية المعروفة بمسألة (لى بوسي) اخمدت نارها وفصلت خصومتها بعد ان تفاقم امرها واشتد العدى بين الفريقين حتى سالت الدماء واضطرت الشرطة (Police) بالتدخل فيها.

وفى سنة 1928 اسندت اليك ادارة المدرسة السلطانيه المعروفة بالمدرسة الادريسية في سلطنة فيرق (PERAK) وقمت بها خير قيام لحسن سيرها واصلحت طرق التعليم فيها فأنجبت عددا من التلاميذ هم اليوم من جملة القضاة والاساتذة والرؤساء الدينيين في تلك المقاطعه.

وفى سنة 1931 وفقت لاحياء مدرسة الاميرة مارية فتحت ابوابها بعد ان ظلت مقفلة عدة سنوات، فانتفع بها الناس وتخرج منها عدد من الطلبة غير قليل.

ولقد كنت قرآنا وشهابا فى مشكلة ((ولي اللين)) الذي ظهر مع جماعته في حدود سلطنة فيرق يقول (ان كان الله تعالى موجودا فاروني لانظره الخ) مقالتهم الباطلة، تعالى الله عما يقول المبطلون.
ولقد بيت الحق في المسألة بما اثلج الصدور فاعلن اهل هذه البدعة الشنيعة توبتهم امام الجموع المقدرة بالالاف المؤلفه.

وفي سنة 1931 اصبحت مدارس الهدى الدينيه للبنين والبنات فائقة بالعجب العجاب وصارت معجزة الزمان ابطلت كثيرا من العوائد القديمة التي كانت تروج باسم الدين خصوصا في ايام محرم وصفر وفي حفلات المولد النبوي والمعراج وغير ذلك فابدلت تلك العوائد كلها بحفلات وعظ واحياء ذكريات تاريخية بالغة. ولقد كان لمدارس الهدى الدينية الفضل العظيم في ايصال الحقائق الى اذهان العامة في كثير من الامور بصور واضحة مع حفظ الاحترام للشعائر الدينية.

وفي سنة 1932 توفقنا بمهارة عجيبة الى الاصلاح بين الطائفتين المتعاديتين في باليق فولو ( BALIK PULAU ) واجتثت عروق الخلاف الحاصل بين علماء تلك القرى بزعامة الحاج سعيدين واتباعه من جهة والحاج حسين واتباعه من الجهة الاخرى. ولقد عالج تلك المشكلة كثير من اساطين ملايا والمبرزين فيها وبذلوا جهودا واسعة في الاصلاح بين الفريقين ولكن ابى الله الا ان تكون الثمرة لنا بعد ان طال النزاع حتى قاطع الوالد ولده والابن الاخ اخاه وهجر الزوج زوجه.

الله اكبر ما اجمل ذلك اليوم واروع ذلك الاجتماع الذي تجلى فيه نور الحق فرجع الوالد بعد طول الهجر يصافح ولده والابن يقبل اطراف والده والاخ يعانق اخاه والزوج يصافح زوجه. والفضل في ذلك كله يرجع الى عبقريتك ومهارتك يا حضرة الفاضل.

وفي اواخر سنة 1933 قمت بالحملة الصحافية المعروفة في ملايا ضد مبشري النصرانية الذين حاولوا تنصير سكان الغاب المعروفين باسم ساكي ( SAKAi ) فنشرت سلسلة من المقالات الحارة كان من نتائجها تأسيس حركة اسلامية منظمة دخل بسببها كثير من اولئك الساكي الى الاسلام.

وفي سنة 1934 كنت في طليعة المؤسسين لجمعية حماة الاقلام والكتاب المعروفة باسم «صحابة فينا ملايا» وكنت مستشارها الاعلى. وهي الجمعية التي كانت نواة للنهضة الوطنية المعروفة اليوم باسم «اتحاد ملايو ملايا».
ولقد اعترف بهذه الحقيقة اساطين النهضة الحديثة وسجلوها في مؤلفاتهم التاريخية وخطبهم الوطنية ونشراتهم الرسمية.

ولقد كان من اعظم الاعمال نفعا مؤلفك الذي اصدرته سنة 1934 متضمنا بيان الاغلاط القرآنية الواقعة في المصاحف المتداولة في ملايا. فتلقته الامة بالشكر وكان له اثر عظيم في ملافاة ذلك الخلل الفادح وصدرت بعد نشره قرارات حكومية رسمية في كثير من انحاء ملايا تمنع ادخال تلك المصاحف وبيعها. الامر الذي كان له اثر فعال اضطر ملاك المطابع التي اعتادت طبع القرآن في الهند وجاوا ان تعتني عناية كبيرة في طبع المصاحف.

وفي سنة 1935 قمت بالدعوة الى اعانة المنكوبين بالمجاعة في المدينة المنورة وبذلت في ذلك مجهودا عظيما بما كنت تكتبه في الجرائد وفي النشرات العمومية والمكاتبات الخاصة الى ذوي الحيثيات من الامراء والاغنياء ووفقت في سبيل تلك الاغاثة وفقة مشهورة بالرغم من كل العوارض التي اوجدتها الظروف السيئة بغية قطع كل علاقة تعاون بين المسلمين.

وفي سنة 1936 تبوأت مقعد عضو الشرف في جمعية اتحاد معلمي المدارس الاهلية الحكومية في ملايا.

وفي سنة 1937 نشرت البيان الكاشف عن الاغلاط القرآنية الكائنة في اسطوانات يشغلونه وكانت بشأنها السلطات المستوله والهيئات الرسمية فاهتز ذلك النفوس في جميع الطبقات واتخذت اجراءات ذات شان في ذلك.

وفي تلك السنة ايضا (1937) تربعت كرسي عضو الشرف لجمعية كوكب الشرق في جزيرة فينغ.

وفي سنة 1939 فاجأت المعاهد الدينية في ملايا بحسنة جديدة احييت بها سنة عظيمة اذ دعوت كل مدرسة الى العناية بتجويد القرآن وتدريب الطلاب تدريبا جيدا استعدادا للمسابقات مع المدارس الاخرى في حفلات المطارحة العامة التي التزمت اقامتها.

في مدارس الهدى الدينية سنويا وفرضت للفائزين هدايا ذات قيمة كبيرة فاستنهضت النفوس الى العناية بتجويد وقراءة القرآن فضلا عن الغرض الذي كانت فائدة بين صغار الطلبة وحملة القرآن.

وفي سنة 1940 ارسلت اول بعثة من تلاميذ مدارس الهدى لتكميل دراستها في مدارس العراق الذي على نفقة جلالة ملك العراق المحبوب.

وفي اوائل سنة 1941 ارسلت بعثة اخرى من تلاميذ مدارس الهدى الى الازهر الشريف لتلقي العلوم الشرعية في كلياته على نفقة الازهر الشريف بامر جلالة الملك المعظم فاروق الاول متع الله بحياته الامة الاسلامية.
هذه ياسيدي نبذة من اعمالك الاصلاحية الجليلة سجلها لك التاريخ ونحن نذكرها لك بالفخر والاعجاب ولا نكون

مبالغين اذا قلنا انها من المعجزات خصوصا اذا نظرنا الى المصاعب والعراقيل التي تعارض الاصلاح والمصلحين. انا نودعك وقلوبنا مجروحة على فراقك. ولئن كان من المستطاع ان يغيب عنا جسمك فان روحك التي تتجلى في اثارك الباقية المجيدة لايمكن ان تغيب. ولاشك انك ستقوم باعمال جليلة في الاماكن المقدسة ان شاء الله تعالى فنتمنى لك سفرا سعيدا ونزولا مباركا حميدا. ونستودعك الله تعالى راجين ان لاتنسى ابناءك في ملايا وخارجها ان تمدهم بارائك السديدة وارشاداتك المفيدة دائما ويكل وسيلة وتقبل ياحضرة الفاضل احتراماتنا الى النهاية. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته في البدء والختام.

AL SAGOFF

[signatures]

دجيتا اوله كتيبس فرينتيغ ،ركه، فينغ،

أبو جابر عبد الله بن أحمد بن ابراهيم الغدامسي

# العالم المهاجر

## جوانب من حياته وبعض نشاطاته الفكرية

بشير قاسم يوشع

مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي
فرع غدامس

ان الرحلات للأسباب الدراسية والتجارية وحتى العملية في ليبيا تعتبر من الموضوعات الهامة ، الجديرة بالتقصي والاهتمام والدراسة ، خصوصاً في بعض نواحيها المتاخمة ، كغدامس التي لا يعرف أكثر سكانها في الماضي طعم راحة الاستقرار الا بعد أن يبلغوا من العمر عتياً ، ويؤهلوا بعض أبنائهم لتسلم الزمام منهم . والأسباب التي تدعوهم الى ذلك كثيرة ومتعددة ، فطالب العلم لا يستكمل علمه ان جاز التعبير الا في الأزهر أو الزيتونة ، وأصحاب رؤوس الأموال لا يستطيعون استثمار أموالهم الا وهم متنقلون من مراكز التجارة بالشمال الافريقي الى دواخل أفريقيا وبالعكس ، أما الرجل العادي خصوصاً بعد أن بدأ الأوربيون يحولون تجارة القوافل الى البحر فلم يعد يستطيع اقتحام باب التجارة ولا تحمل شظف العيش في هذه الرقعة الضيقة التي لم تكن أصلاً الا مركزاً تجارياً ، فيضطر للبعد عن أهله وذويه بعض الوقت مولياً وجهه احدى المدن الآهلة من أجل العمل والعيش .

وكثير هم الليبيون الذين هاجروا من أرض الوطن تحت ظروف قاسية أخرى أشد وأنكى كالاستعمار الايطالي الذي شرد مئات الألوف من أبناء وطننا ، وكم لنا من جاليات في تشاد ونجيريا والنيجر ومالي ومصر وتونس وبلاد الشام وتركيا ، وكم أفرزت هذه الجاليات من شخصيات مرموقة ساهمت في رفع المستوى المادي والثقافي لتلك البلاد.

وجانب من هؤلاء عادوا الى أرض الوطن بعد أن كونوا شخصياتهم العلمية أو المادية أو زالت الأسباب التي هاجروا من أجلها كالاستعمار الثلاثي[1] الذي أرغم الكثيرين على الهجرة ، ولكن هناك مجموعات أخرى لم تعد الى وطنها الأم ، بل ألقت عصاها واستقر بها النوى في البلدان التي ارتضتها وطناً ثانياً ، لايمانهم بأن أرض العروبة والاسلام وطن واحد الا أن هؤلاء منهم من حافظ على وشائج القربى والرحم بزياراتهم المتصلة وعلاقاتهم المستمرة بينهم وأهليهم في ليبيا ، ومنهم من انقطع كلياً عن دوحته ولم يعد يعرف عن أصله شيئاً ، ولا أصولهم يعرفون شيئاً عن فروعهم الممتدة بعيداً عنهم ، وهذا مما جعل في الماضي كثيراً من الشخصيات المرموقة التي ساهمت في النمو الحضاري والعلوم الانسانية محل نزاع بين وطنها الأصلي القديم والجديد ، وكل يدعى شرف انتسابها اليه ، ولو أنها أحكمت أو أحكم معاصروها ربطها بأصلها لأصبحت الأمور واضحة لا تحتاج الى نزاع وادعاء.

ومن الشخصيات المعاصرة ، الجديرة بالتقدير والدراسة ، التي هاجرت من ليبيا لتكون نفسها بنفسها في الخارج ، تكويناً علمياً صحيحاً ، رفعها الى مصاف العلماء العاملين لما قامت به من كفاح في سبيل تحصيل العلم ، وما قدمته من أعمال جليلة خارج وطنها الأول شيخنا الذي سنقدمه في هذا البحث الموجز ، والذي لا يمكن أن يفيه حقه بحال من الأحوال وما هو الا بصيص من الضوء سنلقيه عليه وستعقبه ان شاء الله مجاهر كاشفة عن كل كبيرة وصغيرة عنه.

انه عصامي رحل من غدامس صبياً الى أقصى الأرض وحيداً فريداً بدون مال ولا أهل ليحج البيت أولاً ثم ليطلب العلم المفروض على كل مسلم ومسلمة ، انه عالم ليبي اضطرته الظروف أن يعيش ويتعلم خارج وطنه ويبث علمه هناك أيضاً جزاء وفاقاً ، هناك في مكة

---

(١) بعد هزيمة إيطاليا وجلائها عن ليبيا سنة ١٩٤٣م احتل مكانها الاستعمار البريطاني باستثناء إقليم فزان الذي احتله الاستعمار الفرنسي ، ولكل منهم ضحاياه.

المكرمة — وكم لمكة من مكرمات — يترعرع ويتعلم، وفيها وفي أقصى الشرق، في ملايا (مليزيا) الآن يقوم بجلائل الأعمال. في سبيل النهضة الحديثة، كاصلاح التعليم، وبرامج الدراسة، وانقاذ المدارس المكبلة بالديون ليجعل منها نواة للنهضة الدينية والعلمية في ملايا. ويرسل البعثات العلمية المتعددة الى مكة ومدارس الهند ومصر والعراق والأزهر، ويغدو في طليعة المؤسسين للجمعيات الاصلاحية، ليتصدر مركز مستشارها الأعلى وأمينها العام، الى جانب التصدي للمبشرين المسيحيين الذين حاولوا تنصير أبناء قسم من مليزيا، وبحملاته الصحفية ضد هؤلاء المبشرين استطاع أن ينقذ المستهدفين للتنصير. الى جانب التصدي للسلطات الاستعمارية الانجليزية المعرقلة لبرامج الاصلاح والتعليم، وينتزع منها اعترافاً بحرية التعليم الديني. ويقوم باصلاح ذات البين بين الطوائف المليزية المتناحرة، ويتصدى لأصحاب المطابع الذين يصدرون مصاحف محرفة حتى ثابوا الى رشدهم، كما قام بحملات لابطال العادات الذميمة التي تمارس باسم الدين، وأحدث وعلى نفقته الخاصة اجراء مسابقة في تجويد القرآن الكريم وحفظه بين طلاب مدارس مليزيا سنوياً، حتى تبنته الحكومة المليزية وتقوم به حتى الآن. الى غير ذلك من الاصلاحات العظيمة التي قام بها وكشفت لنا عنها وثيقة قدمها له بعض طلبته المليزيين وهم يودعونه وهو في طريق عودته الى مكة المكرمة حاضنته الأولى بعد أن بقي بينهم ٢٨ سنة. هذا الرجل المتواضع الذي لاقى وجه ربه ولم يعلن لنا عن أعماله، وكان بالامكان أن تبقى في طي الكتمان والنسيان لولا وفاء واخلاص طلبته الذين قاموا مشكورين مأجورين باصدار هذا البيان كاعتراف بجميله وهو عائد الى عاصمة الاسلام الأولى ليتولى هناك أيضاً أسمى المناصب الى أن وافاه الأجل المحتوم، نقدمه هنا في ليبيا لأول مرة لأبناء وطنه بل للعالم أجمع محاولين اعطاءه ولو جزءاً يسيراً من حقه.

هو الشيخ أبو جابر عبد الله بن أحمد بن ابراهيم[٢] بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد البسكوري[٣] القيرواني البلوي المكي الغدامسي، عرف بعبد الله بن أحمد المغربي، لأن أهل مكة ينسبون أهل شمال افريقيا باستثناء مصر الى المغرب.

---

(٢) كان جده ابراهيم من فقهاء غدامس وإماماً لجامع عمران الفقيه.

(٣) بسكوري = تحريف لبسكري لتطويع الاسم للهجة الغدامسية، إذ جدّ العائلة الذي اختار سكنى غدامس كان يقيم قبلها ببسكرة بالجزائر.

ولد رحمه الله تعالى بغدامس سنة ١٣١٠هـ في بيت علم وأصالة ، وهو ثالث اخوته الذكور . ابراهيم وهو أكبرهم وليس بشقيقه ، ومحمد ثم عبد الله[٤] ولم أحصل على معرفة شيء عن طفولته الأولى الا أنه كان يقرأ القرآن الكريم في كتّاب شارعهم جرسان الذي ينتمي اليه عن الشيخ الفقيه قاسم بن أحمد ضوي ، وأستطيع تصوره يتنقل بين منزل أبيه بزقاق حادور وبين هذا الكتاب ، ومسجد عمران الفقيه ليؤدي الصلوات الخمس ضمن كوكبة من الأطفال كما هي عادة أطفال غدامس حتى عهد قريب ، ولي أن أتصوره أيضاً يقطع شارع جرسان ماشياً فشارع تتّزين ليصل الى جامع يونس فليصلي فيه أحياناً ، ثم يعرج الى ساباط بنى وازيت ومنه الى سوق القادوس ، فساباط بنى وليد فتوفرضة فتمقدلت مركز شارع بني ذرّار ، محل سكنى أخواله الذين عليه أن يزورهم بين الحين والآخر ، صحبة والدته أولاً ثم يستقل لأداء هذه المهمة وحده ، ولا يحق لي أن أتصوره خارج هذا النطاق الضيق اللهم الا أن يغشى بعض المساجد الأخرى أحياناً ، كجامع العتيق وجامع عقبة ، وربما ذهب الى بعض المزارع القريبة صحبة والده أو اخوته لحمل بعض التمور والخضار والفواكه الى المنزل . وداخل كتاب جرسان يمكن تصوره طفلاً مجتهداً في أداء واجبه ، يؤم الكتاب قبل زملائه ، ويكون آخرهم خروجاً ، ولا يتلهّى بما سوى الحفظ بين ذلك .

وكم كان ممكناً أن تقبر موهبته في ذلك الشارع بتلك المدينة النائية ، أو لعله يصبح مدرساً للقرآن الكريم في احدى كتاتيب البلدة بعد أن تتقدم به السن ، ولا يوجد من هو أكبر منه سناً يرغب تولي هذه المهمة . اذ من المتعذر على أمثاله أن يسافروا الى الأزهر أو الزيتونة لطلب العلم ، الا أن حادثاً بسيطاً غير مجرى حياته ، واقتلعه من هذا الحيز الضيق ، ودفع به الى محيط واسع الأرجاء يموج بالمعرفة والنشاط .

من العادات الأصيلة بغدامس حتى سنة ١٩٥٢ م أن يحتفل الجميع بليالي المولد الشريف . الشيوخ في المساجد[٥] أما الشباب والأطفال فتقوم كل مجموعة منهم داخل شارعهم باقامة الزينات ابتداء من يوم ١١ ربيع الأول ، وبعد صلاة المغرب من ذلك اليوم تجتمع كل مجموعة لوحدهم لترديد المدائح النبوية والسيرة المحمدية .

---

(٤) أم محمد وعبد الله تنتمي لشارع بني ذرّار ، عائلة بني عبد القادر ، واسمها خديجة مامّه باشا .

(٥) عادة اجتماع الشيوخ بالمساجد بهذه المناسبة لا زالت مستمرة .

والطريقة المتبعة بين الاطفال أن يجلس الجميع على مقاعد مفروشة بالزرابي ، مراعين في ذلك جلوس الأكبر في صدر المجلس ، ثم يتلوه الكبير فالصغير فالأصغر ، ويبدأ الأكبر بالقاء بيت من القصيدة التي اختارها ، ويرد عله الحاضرون ببيت يتضمن الصلاة على النبي ، ثم يزيد بيتاً آخر ، بينما هم يرددون نفس البيت ، وهكذا دواليك الواحد تلو الآخر كل واحد يلقي القصيدة التي اختارها ، فإذا انتهى الدور يعيدون من جديد . وأثناء هذا الحفل يصل المشاهدون الى هذه الأمكنة للاسترواح والمشاركة ، وصادف ليلة أن الطفل شيخنا عبد الله يلقي قصيدته اذ وفد الى المكان قاضي البلد الشيخ عبد الملك أفندي(٦) واستمع اليه وتفرس فيه النجابة ، وبعد ذلك سأل عن أقاربه وتحدث الى والده وأفهمه أن ابنه لو مكّن من الدراسة المتينة لفتح الله عليه سريعاً ، وطلب منه أن يسمح له باصطحابه أينما ذهب خارج غدامس ليعلمه ويربيه(٧) فلم ير والده مانعاً في ذلك ، وانتقل لصحبة هذا الشيخ . ولما نقل الى غريان صحبه معه .

لم أتوصل لمعرفة الطريقة التي سلكها معه الشيخ عبد الملك سواء كان ذلك بغدامس أو بغريان ، والذي عرفته من بعض أقاربه أنه سافر من غدامس الى غريان وعمره ١١ سنة حسبما أخبرهم هو بنفسه ، وبقي بغريان حتى سن البلوغ ، وكان يتنقل بين غريان وطرابلس ويتصل ببعض أقاربه هناك . وبعد سن البلوغ وصيام شهر رمضان الأول عزم على أداء فريضة الحج وسنه اذ ذاك ١٤ عاماً ، وباعانة من بعض أقاربه كالشيخ الفقيه محمد شليد سافر من طرابلس بحراً حتى وصل الى احدى الموانئ المصرية ، اسكندرية أو بور سعيد فمحدثي ليس جازماً أيهما هو . ومن هذا الميناء سافر على باخرة مصرية الى جدة(٨) .

---

(٦) الاسم الكامل للشيخ عبد الملك لم أجده حتى في سجلات المحكمة الشرعية ، ويرجح أنه من أصل شامي . وكان موجوداً بغدامس حتى ٢٥ محرم ١٣٢٣ هـ. بل هو عبد الملك بن محمد بن حبيب الحجازي.

(٧) هذه المعلومات استقيتها من الشيخ عبد الله أحمد البوصيري ، وأما الشيخ محمد المارغني البوصيري فيقول : إن الواسطة بينه وبين الشيخ هو المرحوم أحمد حودانه الذي كان في خدمة عبد الملك ، ولما أراد ترك خدمته طلب منه أن يأتيه بمن يخلفه ، ولا مانع من اجتماع الروايتين.

(٨) إذا كان عمره كما أخبر هو بنفسه لما سافر من غدامس ١١ سنة ، وسافر من طرابلس وسنه ١٤ سنة تقريباً ، ونحن نعلم يقيناً أنّ عبد الملك كان قاضياً بغدامس حتى ٢٥ محرم ١٣٢٣ هـ ولنفرض أنه سافر الى غريان في نفس السنة فيجب أن يكون عمره حين سفره من غدامس ١٣ سنة لأنه من مواليد سنة ١٣١٠ هـ ، فالمدة التي قضاها مع عبد الملك بغدامس وغريان لا تتعدى العام وبعض الأشهر ، ويستبعد أن يكون سفره الى مكة في نفس العام الذي سافر فيه من غدامس ، وما تم سفره إن صحّ تخميننا إلا سنة ١٣٢٥ هـ.

بعد اداء فريضة الحج توجه الى الطائف ودرس بمسجد ابن عباس ، ثم عاد الى مكة حيث درس بالمسجد الحرام ، وبعدها قرأ بالمدرسة الصولتية التي أسسها الشيخ رحمة الله الهندي ، كانت ولا تزال احدى منائر العلم في جزيرة العرب ، وتتلمذ على علمائها الأفاضل في ذلك الوقت ، وعلى رأسهم علامة مكة الشهير الشيخ عبد الرحمن الدهان والشيخ أحمد النجار[٩] والأخير هو الذي رباه وكان له بمنزلة الوالد ، كما درس عن بهاء الدين الأفغاني الذي جاور بمكة حتى توفي بها ، ويمكن اعتبار هؤلاء الأعلام الثلاثة هم المكونين الفعليين لشخصيته العلمية والمؤثرين في بنائها ، اذ كان رحمه الله كثير الحديث عنهم وعن علمهم وفضلهم[١٠] .

## حياته العملية :

أثناء دراسته ربما كان يشتغل في موسم الربيع مع أستاذه أحمد النجار في احضار عطر الورد والصندل وغيرها من الروائح العطرية ، وذلك بمدينة الطائف المشهورة بهذه العطور .

وبعد تخرجه من المدرسة الصولتية يرجح أنه عمل مدرساً ومديراً في احدى مدارس البادية في العقيق احدى ضواحي الطائف ، وربما هي احدى المدارس التي أسسها أستاذه ومربيه الشيخ أحمد النجار[١١] .

بعد نجاحه في امتحان خاص[١٢] تولى التدريس بالمسجد الحرام وذلك سنة ١٣٣٥ هـ ، كما تولى منصب معاون المدرسة الراقية التي أنشأها الشريف الحسين ابن علي بمكة المكرمة .

---

(٩) الشيخ أحمد النجار ، هو أحمد بن علي بن حسن بن صالح النجار . قاض فاضل من أهل الحجاز ، مولده ووفاته بالطائف ، تعلم بالمدرسة الصولتية بمكة ، تفقّه ونظم الشعر وقرأ بعض كتب الطب القديم والحديث ، وحذق في اللغة الفارسية . أعد منهاجاً لنشر التعليم في البادية في عهد الحكومة العثمانية أعانه عليه أحد ولاتها كاظم باشا . الأعلام الجزء الأول صفحة ١٧٦ .

(١٠) هذا التأكيد من بعض أقاربه ومعارفه . ومنهم الحاج عبد القادر شليد .

(١٢) أخبرني الحاج عبد القادر شليد ، قال : حضرت مجلساً للشيخ عبد الله بمكة المكرمة حضره الشيخ عبد الله البخاري التي الغدامس قاضي غدامس إذ ذاك ، وسأل الشيخ عبد الله بن أحمد عن مؤهله فأجابه بعد كلام طويل أني أحمل الشهادة العالمية وهي لا تعطى إلا لمن ينجح في امتحان يناقشه فيه أكثر من عشرين شيخاً ، وربما هي التي أهلته للتدريس بالمسجد الحرام .

## هجرته الى الشرق الأقصى وأعماله الاصلاحية :

كانت اسرة ثرية من حضرموت تقيم في ملايا التي أصبح اسمها مليزيا الآن وهي آل الكاف ترغب في رفع مستوى المدارس العربية هناك ، واتفقوا معه لانجاز هذه المهمة ، وأبرموا معه عقداً لمدة خمس سنوات الا أن الاقامة هناك استمرت ما يقرب من الثلاثين عاماً ، وفعلاً سافر الى ملايا سنة ١٩١٩م وحل بجزيرة (فينغ) وقام هناك بالمهمة التي قدم من أجلها خير قيام في هذه الجزيرة خصوصاً وفي بقية بلاد الملايا عموماً ، حيث قام باصلاح طرق التعليم وبرامج الدراسة التي كانت الى ذلك الحين جد سقيمة .

وقد صادفته عدة عراقيل وعقبات كانت تعطل المجهودات الاصلاحية والمشاريع الدينية التي يعالجها ، واستعمل في ذلك الحكمة والتروي ، وقام بحملات صادقة كشف بها عن كثير من الاعتقادات الزائفة والعادات الذميمة ، حيث كان كاتباً بليغاً وواعظاً وخطيباً يعرف ذلك منه كل من جلس اليه واستمع الى أحاديثه .

كانت ادارة الاستعمار البريطاني قد أصدرت قانوناً يحجر على كل من يقوم في ملايا بتعليم عشرة أشخاص فصاعداً الا بعد الحصول على ترخيص رسمي بالموافقة ، بعد تسجيل اسمه ومحله والمواد التي يرغب تعليمها ، وقامت معركة سياسية لاسقاط هذا القانون وكان الشيخ عبد الله في مقدمة ابطال هذه المعركة التي أسفرت سنة ١٩٢٠م عن اصدار ما يستثني التعليم الديني من هذا القانون ، وأصبح التعليم الديني حراً من كل قيد .

وفي سنة ١٩٢١م قام بانقاذ مدرسة مشهور الاسلامية التي تكبلت بالديون ، وأوشكت على السقوط بغلق أبوابها ، وبصبره ومهارته حل مشكلتها وأعاد لها الحياة ، وهذه المدرسة تعتبر النواة الأولى للنهضة الدينية والعلمية في ملايا .

وكان هناك طائفة زائفة معروفة بجماعة أو مذهب (متهاري) تعتقد التناسخ ووجوب تسليم الأموال والأهل والأولاد للخليفة الذي تحل فيه روح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في زعمهم . وفي سنة ١٩٢٢م بمجهوده وسعيه أعلنت توبتها على يديه وأحرق أتباعها الكتب التي ألفها زعيم مذهبهم أمام مسجد (جلوتنغ)

وفي سنة ١٩٢٣م سافرت بمجهوده أول بعثة من تلاميذه الى مصر والتحقت بالقسم

الداخلي لمدارس الجمعية الاسلامية . وفي سنة ١٩٢٤ غادرت ملايا بمجهوداته أيضاً مجموعة أخرى مكونة من خمسة أشخاص للدراسة بمكة المكرمة . ثم تتابع بعد ذلك الملتحقون بمدارس مصر وجامعة الأزهر ومدارس الهند . وبعد التخرج تولى كثير منهم أسمى المناصب .

وفي سنة ١٩٢٣م شهدته جزيرة (فينغ) حاكماً ماهراً وقاضياً عادلاً في قضية اعتقادية عرفت باسم (لبي موسى) فأطفأ نارها وفصل خصومتها بعد أن تفاقم أمرها واشتد العدا بين الفريقين . كما اسندت اليه سنة ١٩٢٨ م ادارة المدرسة السلطانية المسماة (المدرسة الادريسية) في سلطة (قيرق) (Perak) فقام باصلاح طرق التعليم بها وحسن سيرها وأصبحت تقوم برسالتها حق قيام . وفي سنة ١٩٢٩ م قام باحياء مدرسة الأميرة مارية ففتح أبوابها بعد أن بقيت مغلقة عدة سنوات .

ظهرت جماعة في حدود سلطنة قيرق عرفت بمشكلة (لبي اثنين) تقول : ان كان الله تعالى موجوداً فأرونا ننظره وغير ذلك من مقالات باطلة تعالى الله عنها علواً كبيراً وكان في هذه المشكلة نبراساً وضّاءاً ، وبيّن الحق بما أثلج الصدور حتى أعلنت هذه الفئة توبتها عن هذه البدعة الشنيعة والضلال المبين أمام جماعة تقدر بالآلاف .

أسس سنة ١٩٣١ مدرسة الهدي الدينية للبنين والبنات ، فأبطلت هذه المدارس الكثير من العوائد الذميمة التي كانت تمارس باسم الدين ، خصوصاً في شهري محرم وصفر وفي حفلات المولد النبوي والمعراج ، وأبدلت بحفلات وعظ واحياء ذكريات تاريخية نافعة حيث كان لهذه المدارس الفضل العظيم في ايصال الحقائق الى أذهان العامة مع حفظ الاحترام للشعائر الدينية .

وفي سنة ١٩٣٢م وفق الى اصلاح الطائفتين العظيمتين في (باليق فولو)(Balikpulau) واجتث عروق الخلاف المتأصل بين علماء تلك القرى بزعامة الحاج سعيدين وتابعيه من جهة . والحاج حسين وتابعيه من جهة أخرى ، ولقد عالج هذا الخلاف كثير من سلاطين ملايا وغيرهم وبذلوا جهوداً واسعة في الاصلاح بين الفريقين دون جدوى ، بل ازداد الأمر تفاقماً حتى قاطع الوالد ولده ، ونبذ الأخ أخاه ، وهجر الزوج زوجه ، وزال كل ذلك بفضل مجهوداته واخلاصه .

وفي أواخر سنة ١٩٣٣ قام بحملة صحفية في ملايا ضد مبشري النصرانية الذين حاولوا تنصير سكان الغاب المعروفين باسم ساكي (Sakai) فنشر سلسلة من المقالات الحارة كان من نتائجها تأسيس حركة اسلامية منظمة دخل بسعيها كثير من أولئك السكان الى الاسلام .

وفي سنة ١٩٣٤م أُسست في ملايا جمعية حملة الأقلام والكتاب معروفة باسم (صحابة فينا ملايا) كان في طليعة مؤسسيها، وأصبح مستشارها الأعلى وأمينها العام وكان تنكر عبد الرحمان الرئيس الأول لوزراء مليزيا بعد الاستقلال عضواً بها، وهذه الجمعية هي نواة النهضة الوطنية المعروفة باسم (اتحاد ملايو ملايا)، ولقد اعترف بهذه الحقيقة أساطين النهضة الحديثة بملايا وسجلوها في مؤلفاتهم التاريخية وخطبهم الوطنية ونشراتهم الرسمية.

ومن أعظم نشاطاته نفعاً بيانه الذي أصدره سنة ١٩٣٤م متضمناً بيان الاغلاط القرآنية الواقعة في المصاحف المتداولة في ملايا مما كان له الأثر العظيم في تلافي ذلك الخلل الفادح وصدرت بعده قرارات حكومية رسمية في كثير من أنحاء ملايا تمنع ادخال تلك المصاحف وبيعها، الأمر الذي أجبر أصحاب المطابع التي اعتادت طبع المصاحف في الهند وجاوا أن تعتني عناية كبيرة في طبع المصاحف.

في سنة ١٩٣٥ قام بحملة صحفية في الجرائد والنشرات العمومية، وبمكاتبات خاصة الى الأمراء والأغنياء وبذل مجهوداً عظيماً مطالباً باعانة المنكوبين بالمجاعة في المدينة المنورة، ووقف في هذه القضية وقفة مشهورة برغم العوارض التي أوجدتها الظروف الاستعمارية السيئة لقطع كل علاقة تعاونية بين المسلمين.

وفي سنة ١٩٤٦ تبوأ مقعد الشرف في جمعية اتحاد معلمي المدارس الأهلية الحكومية في ملايا.

نشر بياناً كشف فيه الأغلاط القرآنية الموجودة في اسطوانات (بيضفون) وكاتب بشأنها السلطات المسئولة، والهيئات الرسمية، فاتخذت اجراءات ذات شأن في الموضوع وفي نفس السنة تربع على كرسي عضو الشرف بجمعية كوكب الشرق في جزيرة فينغ.

ودعا في سنة ١٩٣٩م كل مدرسة الى العناية بتجويد القرآن الكريم وتدريب الطلاب تدريباً جيداً استعداداً للمسابقة مع المدارس الأخرى في حفلات المطارحة العامة التي التزم باقامتها على نفقته الخاصة في مدارس الهدى الدينية سنوياً، وفرض للفائزين هدايا ذات قيمة كبيرة، فاستنهض النفوس الى العناية بالتجويد، وقراءة القرآن الكريم مصوناً عن الفوضى التي كانت سائدة بين صغار الطلبة وجهلة القرّاء. حتى تبنته حكومة مليزيا، وهذه المسابقة تقام بمليزيا سنوياً الى الآن.

وفي سنة ١٩٤٠ أرسل أول بعثة من طلبة مدارس الهدى ليكملوا دراستهم في مدارس العراق العالية على نفقة حكومة العراق، كما أرسل في سنة ١٩٤١ بعثة أخرى من طلبة هذه المدارس الى الأزهر لتلقي العلوم الشرعية في كلياته على نفقة الحكومة المصرية[١٣].

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كان الشيخ عبد الله من الذين تأثروا بسعيرها تأثراً مباشراً، حيث ضربت القنابل اليابانية مدرسة الهدي الدينية التي أسسها، ومطبعته الى أنشأها. والتي كان من أهم انجازاتها طبع مصحف على نسخة تركية باسم المصحف السلطاني الحميدي حيث اشرف بنفسه على تصحيحه[١٤] تاق الى العودة الى رحاب بيت الله الحرام، مكة المكرمة، وطنه الثاني الذي ترعرع فيه وتعلم، وخرج من بلاد ملايا في طريق عودته يوم ١٤ شعبان سنة ١٣٦٦هـ.

بعد سفره قامت صحيفة (ورت نقارا) التي تصدر في مدينة (فولو فينغ) بنشر مقال ضاف وترجمة موجزة عنه في جزء كبير من صفحتها الثانية، وذلك في عددها ١٥٨ للسنة الثالثة تاريخ ٧ يوليه ١٩٤٧م، حيث ذكرت هذه الصحيفة مظاهر التوديع التي اقيمت له من قبل تلاميذه ومحبيه وعارفيه.

بعد أن أخذ قسطاً من الراحة بمكة المكرمة وصلته في أوائل سنة ١٣٦٩هـ رسالة من بومباي بالهند من وجيه حجازي يدعى محمد علي زينل، يرجو منه قبول تدريس طلاب مدرسة الفلاح التي أسسها المذكور بجدة على نفقته الخاصة[١٥] موضحاً له فيها حاجة الطلاب والمدرسة الى أمثاله من العلماء وقبل الشيخ ابو جابر هذا المنصب بكل رضى.

ولكن ما أن استقر هو وأسرته بجدة حتى صدر قرارٌ من الملك الراحل عبد العزيز بتعيينه قاضياً في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة، وذلك سنة ١٣٧٠هـ، ولم يجد بداً من قبول ذلك رغم عدم رضائه عن منصب القضاء، وما أن بلغ الخامسة والستين حتى طلب احالته للتقاعد

---

(١٣) كل هذه المعلومات التي سردتها بانتظام ابتداء من سنة ١٩١٩م حتى عودته الى مكة سنة ١٩٤٧م كشفت لنا عنها وثيقة طبعها بعض طلبته ومحبيه وزّعوها في ملايا عند توديعه كاعتراف بخدماته الجليلة، ومن المؤسف أنها لا تحمل أسماءهم بل توقيعاتهم فقط وسينشر جزء منها ضمن هذه المقالة.

(١٤) نسخ من هذا المصحف توجد ببعض مساجد غدامس أهداها سنة ١٩٦٤ لما زار غدامس.

(١٥) هذه المدرسة لا زالت قائمة حتى الآن وتؤدي عملها في كل من مكة وجدة.

وفق ما ينص عليه القانون ، وتمشياً مع رغبته في الابتعاد عن القضاء . ولكن طلبه رفض أكثر من مرة وذلك لكفاءته وعدالته وحاجة البلاد اليه والى نزاهته ، ولم يحل الى التقاعد الا في سنة ١٣٨٣ هـ ، وقد بلغ من العمر ٧٣ سنة ، ورغم احالته للتقاعد كان موضع تقدير واحترام المسؤولين والمواطنين .

بعد الاحالة الى التقاعد انتدب برسالة رسمية للفصل في نزاع قبلي مستحكم في منطقة متاخمة لميقات (ذات عرق) ، ورفض المتنازعين التفاهم الا اذا اسندت الى الشيخ عبد الله هذه المسألة ، فقبل القيام بهذه المهمة ، فسوى الخلاف وحدد الميقات المذكور حتى يكون خارجاً عن مثل هذه الخلافات والنزاع مستقبلاً .

أخذ رحمه الله وهو في آخر عمره يقضي أيامه كلها في الاطلاع والتأمل وقراءة القرآن الكريم ، وآداء الصلوات الخمس بالمسجد الحرام ، وأما لياليه فيقضيها في العبادة والتهجد حتى داهمه المرض في أوائل عام ١٣٩٥ هـ ، وتوفي عند مغرب يوم الجمعة ٧ رمضان من العام نفسه ، وصلى على جثمانه في المسجد الحرام عند الملتزم بعد صلاة العصر من الغد ، ودفن في مقبرة المعلاة وهو ابن خمس وثمانين سنة . رحمه الله تعالى وأثابه أحسن الثواب على هذه الخدمات الجليلة التي قدمها للمسلمين وهم في اشد الحاجة اليها .

**آثاره :**

ليست له مؤلفات ، فقد كانت وجهة نظره في التأليف تتلخص في نقطتين :

١ — ان في تأليف الكتب باباً من الفخر والتباهي ، في حين يجب أن تكون أعمال خادم العلم الشريف خالية من الرياء والسمعة ، خالصة لوجه الله تعالى ، وقد أخبر رحمه الله أنه ألف في مقتبل عمره رسالة في علم البلاغة ، وما أن أتم تأليفها حتى مزقها لشعوره أنها خالفت وجهة نظره المذكورة .

٢ — كان يرى أن رسالة أهل العلم هي التعليم وليس التأليف وهو أصعب ، وتأثير التدريس أمكن ، والجهد فيه والتحضير له أكثر ، ولعله في هذا الرأي متبع رأي شيخه بهاء الدين الأفغاني .

كان رحمه الله تعالى يتمتع بأسلوب توجيهي ساحر يدرك ذلك كل من جلس اليه واستمع الى دروسه ، انه حقاً كذلك فقد عرفت هذا عنه شخصياً .

وبهذا فآثاره العلمية تنحصر في مقالات صحفية اصلاحية نقدية توجيهية دعت اليها حاجة المسلمين في بلاد الملايا ، مما يدعو الى الاعتقاد أنها كانت في معظمها بلغة الملايو التي كان يجيدها اجادة تامة ، ويرى أنها احدى اللغات البشرية الراقية ، وكان يتكلم الى جانبها بالاضافة الى العربية اللغة الانجليزية ، أما الغدامسية والهوسا التي كان يتكلم بها فلعدم ممارسته لها نسيها ولم يعد يذكر منها سوى جمل قليلة.

وبعد ، فما أحوجنا في الجماهيرية ، ونحن نكتب ونصحح ونجمع تاريخنا ، ما أحوجنا أن نحيي ذكرى هذا العالم الجليل الذي عاش في وقت عز فيه الرجال ، عاش حياة عصامية كلها نشاط وانتاج ، خرج من بلده وهو ابن ١٤ سنة ، ليجد نفسه في بلد ناء ، بعيد عن الوطن ، لا أم حنون رؤوم ، ولا أب يشرف على التربية ، ولا حتى أبناء وطن يأنس اليهم[١٦] ويُكَوِّن نفسه بنفسه ، يتعلم وينجح ، ثم يذهب الى أقصى الأرض ليقوم هناك بجلائل الأعمال ويخوض كثير من الميادين الاصلاحية ، ثم يعود الى أم القرى ليتبوأ منصب القضاء بالمحكمة الكبرى .

ان مثل هذا البذل والعطاء ، هذا التفاني في خدمة العلم والاسلام والمسلمين في وقت هم أحوج ما يكونون اليه جدير بكل تقدير واهتمام ، أفلا يكون هذا الرجل جديراً بأن نتابع أعماله ونتقصاها ونبحث عنها في صحف ماليزيا ذلك الحين ، ونتعرف على بعض طلبته لنجمع كل كبيرة وصغيرة عنه ثم ننشرها في كتاب ، لنحفظها للأجيال القادمة وللوطن . انه نتاج نبت في ليبيا ، واحتضنته مكة ، وأفرغ جل محتواه في ماليزيا ، أليست هذه هي الوحدة والأخوة الاسلامية ، بلد يلد وآخر يعلّم والثالث يستثمر ، الكل واحد لا فضل لهذا على هذا ، هذا هو الاسلام وهؤلاء هم المسلمون ، لا يسألون عن جوازات السفر ، ولا تهمهم شهادات الميلاد ، ولا يجبرون أحداً على مغادرة البلاد بحجة أن الإقامة قد انتهت ، بل هي الأخوة المحمدية والنهج الاسلامي الصحيح . ان كثيراً غيره خرجوا من ليبيا ومن كل البلاد الاسلامية واندمجوا في شعوب اسلامية أخرى لظروف دعت اليها الحاجة ، ولكن لا يجب أن تهمل ذكراهم ، فلا بد لنا من التنقيب وتقصي الحقائق عنهم اثباتاً لشخصياتهم واعترافاً بجميلهم .

ان أمر جمع معلومات عن هذه الشخصية الفذة من ماليزيا ومكة المكرمة هو بلا شك مسؤولية جامعاتنا ومراكزنا سواء منها العلمية أو السياسية ، واعلامنا الخارجي .

---

(١٦) نظراً لعدم توفر المواصلات ، فقد انقطعت أخباره عن أسرته الى سنة ١٩٤٢ وصلت منه رسالة الى غدامس لأبناء شليد يسأل فيها عن مصير أسرته .